وما بين عامي ١٣٠٢ و ١٣٠٤ حاول دانتي العودة إلى فلورنسا بالتحالف مع البيض الآخرين المنفيين ، ولكن مغامراتهم الشخصية وتفاهتهم الأخـــلاقية نفرته منهم فانشق عنهم وراح يطوف في ايطاليا طوال عشرين عاما مستفيداً من دعم بعض الأغنياء والحكام المتنورين . اننا لانعرف الكثير عن هـــذه الفترة من حياة دانتي ولكننا نعلم أن دانتي زار فيها فيرونا وكازينتينا ولونيد جانا ورافينا .

انتعش آخر امل سياسي في نفس دانتي في عام ١٣١٠ عندما زار امبراطور لوكسمبورغ هنري السابـــع ايطاليا . وكان المنفيون يعلقون آمالا كبيرة على قـــدومه . غير أن هنري السابع مات في عام ١٣١٣ قبل أن يستطيع اعادة أي منهم إلى فلورنسا .

قضى دانتي أعوام حياته الأخيرة في فيرونا ورافينا التي مات فيها محاطا برعاية الأمير غويدونوفيللودي بولينتا . ولا يزال رفات دانتي في رافينا إلى يومنا هذا ، على الرغم مـــن جميع محاولات فلورنسا ان تعيد اليها بقايا ذلك الذي لم تقدره حق قدره وهو على قيد الحياة .

الملامح العامة لأدب دانتي :

لقد حطمت حياة دانتي الحزينة القلقة نفسه ولكنها مع ذلك هيأته ليكون ذلك الشاعر العظيم الذي نعرفه . فلو أن دانتي عاش حياة هادئة في فلورنسا شاغلا نفسه بالعمل السياسي والاجتماعي لعجز حتما عن صب ابداعه في تلك الصيغ التي وصلت الينا . فأعوام المنفى خلقت « الكوميديا الالهية » وحددت إلى درجة كبيرة محتواها النفسي وطابعها .

دانتي في نظرنا شاعر كتب « الحياة الجديدة » و « الكوميديا الالهية » . وقليلون جدا أولئك المعجبون الذين قرؤوا له « الوليمة » ومجموعة اشعاره الأخرى . وأقل منهم أولئك الذين اطلعوا على ابحاثه المكتوبة باللغة اللاتينية « حول البلاغة الشعبية » و « حول الملكية » .

ان هذه الأعمال المغمورة الآن ضرورية جدا من أجل تفسير شخصية دانتي تفسيرا شاملا ، فهي تبين أن الشاعر العبقري كان مفكرا وعالما وسياسيا . وقد قدر معاصروه علمه بما لايقل ، وأحيانا بما يزيد ، عن تقديرهم لمحاسن أعماله الشعرية .

ولكن من الواضح تماما أن مجد دانتي الشعري يستند إلى رواية « الحياة الجديدة » التي كتبها في صباه وإلى ذلك الصرح الشعري الهائل الذي شيده في « الكوميديا الالهية » . أمـــا مؤلفاته الأخرى فلا تعدو ان تكون مدخلا لفهم هذين العملين أوعاملا مساعدا في فهمهما .